

المحاضرة الثالثة عشر

الخط الكوفي الهندسى

Geometrical Kufic Forms

- يمتاز هذا الخط عن بقية أنواع الخطوط الكوفية الأخرى بأنه شديد الاستقامة قائم الزوايا أساسه هندسي بحت، وارتبطت صورته بنقشها داخل مناطق مربعة أو مستطيلة أو مستديرة أو شكل سداسي أو ثماني أو يؤلف شكلاً معمارياً يشبه الكابولي، ومن ثم أطلق الشكل الهندسي المنفذ بداخله هذه الكتابات على الكتابات نفسها، فقليل الخط الكوفي المربع والمستطيل... إلى غير ذلك من المصطلحات الأخرى التي أطلقت على هذا النوع من الخط الكوفي الهندسي.

- وهو يتألف من كلمات تنظم في أوضاع رأسية وأفقية متداخلة ومتشابكة بحيث تؤلف شكل مربع بحيث راعى فيه الخطاط أن تكون الحروف على شكل قنوات رأسية وأفقية بشكل زاوية قائمة تتساوى في سمكها مع سمك الفراغات المتروكة بينها والتي تتخذ نفس هيئة القنوات الرأسية والأفقية وتتداخل وتتشابك مع الكتابات نفسها بحيث تؤلف في النهاية شكل مربع كبير.

- أو تتم كتابته عن طريق تلوين المربعات المتتالية لتنشأ الكلمات، حيث تتم الكتابة بالمربعات المتعاقبة لتعطي أشكال الحروف المراد كتابتها بطريقة تحدث تآلفاً وتناغمًا ما بين لونين مختلفين كالأسود والأبيض، وتحقيق الجمالية في هذا النوع تكمن في استخدام هذين اللونين بشكل متناسق .

- ويسمى هذا النوع من الخط الكوفي أيضاً بالخط الكوفي التربيعة أو الخط الكوفي المسطر أو الهندسي المسطر أو الشطرنجي، وهو يتألف من خطوط مستقيمة تتصل بها خطوط أفقية فتنشأ عنهما زوايا قائمة وتتشكل منها مربعات متلاصقة لا تدخلها أية استدارة، ويرسم هذا الخط بالقلم والمسطرة، ومن هنا جاءت تسميته بالمسطر نسبة إلى المسطرة التي تعتبر وسيلة أساسية في رسمه.

نشأة الخط الكوفي الهندسى المربع

- لا تزال نشأة هذا النوع من الخط الكوفي غامضة، وأغلب الظن أن فكرة الزخرفة بالطوب المختلف الحرق **The Ornamental Brick Work** والمعروفة بالهزارباف **Hazarbaf** أو الحزرباف هي التي أوحى به.

- وتتكون زخارف "الهزارباف أو الحزرباف" من وضع الطوب المختلف الحرق في أوضاع رأسية وأفقية، بحيث تنشأ من ذلك أشكال هندسية وكتابية لا حصر لها، وتسمى باسم "الزخرفة الآجرية"، والهزارباف كلمة فارسية تتكون من مقطعين: "هزار" وتعني الرقم الحسابي ألف، والمقطع الثاني "باف" وتعني حنية، فيكون المعنى الكلي هو: الألف حنية، ومن أقدم أمثلة استخدام هذه الزخرفة ما هو موجود في قمة الحنية المقنطرة الواقعة إلى يسار المدخل ببوابة مدينة بغداد بالعراق عن طريق الزخرفة بالآجر.

- وهذه الطريقة الزخرفية شائعة في عمائر إيران والعراق وآسيا الصغرى خلال العصر السلجوقي أي منذ حوالي منتصف القرن 5هـ/11م، كما استمر استخدامه خلال القرنين 6-7هـ/12-13م واستمر أيضاً بعد ذلك بفترة طويلة تصل إلى ما بعد القرن 10هـ/16م.

- ومن أقدم النماذج السلجوقية التي وصلت مزخرفة بالخط الكوفي الهندسي المربع زخارف مئذنتي أولو جامع في ماردين 572هـ/1176م، كما استخدم الخط الكوفي الهندسي المربع في زخرفة بوابة ضريح مجموعة كيكافوس في سيواس 615هـ/1217-1218م، وفي مدرسة كراتيه بقونية 650هـ/1251-1252م، وأيضًا على مئذنتي مجموعة صاحب عطا في قونية 656هـ/1258م، ومن نماذج هذا الأسلوب الزخرفي أيضًا: حشوتان وضعتا على قاعدة إحدى المئذنتين في جامع صاحب عطا في قونية، وزخارف الإطار الذي يدور حول بوابة خانقاة نطنزة بالقرب من أصفهان حوالي سنة 716هـ/1316م، كما جاءت أيضًا عبارة التوحيد في زخارف عقد إيوان القبلة في المسجد الجامع بفرايين بإيران 726هـ/1325-1326م.

• وقد شاع استخدام الخط الكوفي الهندسي المربع في كتابة عبارة تحتوي على اسم النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، كما في الحشوة المربعة الموجودة على قاعدة المئذنة اليمنى بمدرسة جيفته في أرضروم 671هـ/1271-1272م، حيث نفذت الزخارف بقوالب من الآجر المزجج بالميّنا وذلك باللون الأزرق الفيروزي، كما يزخرف قاعدة المئذنة اليسرى لفظ الجلالة "الله" مكرراً أربع مرات داخل منطقة مربعة الشكل.

- ويرى أحد الباحثين: "أن هذا النوع من الخط الكوفي أحد التأثيرات الفنية الزخرفية التي شوهدت على آثار مصر في عصر دولة المماليك بشقيها وآثار جمهوريات بلاد آسيا الوسطى خاصة في عمائر حكام المغول ومن بعدهم التيموريين، فمن خلال دراسة العمائر الإسلامية في كل من المنطقتين وجد أن هناك عدة عناصر زخرفية ومعمارية قد تشابهت من حيث الشكل والمضمون، وكل هذه العناصر الزخرفية والمعمارية المتبادلة تدل على عمق العلاقات بين البلدين سواء أكانت سياسية أو تجارية أو فنية أو اجتماعية".

- وربما يكون الخط الكوفي الهندسي المربع متأثراً بالزخارف والأختام الصينية التي اتخذت هيئة أختام مربعة أو مستطيلة على المنتجات الفنية الصينية المختلفة وذلك لأن الشكل العام للزخرفة بالخط الكوفي الهندسي المربع يشبه أشكال الكتابات الصينية على الأختام المربعة أو المستطيلة الموجودة على قاع أواني البورسلين الصيني.

- كما أن زخارف الخط الكوفي الهندسي المربع كانت من بين التأثيرات المعمارية والزخرفية العديدة التي نقلها الفنانون وأصحاب الصناعات والحرف ممن هاجروا من إيران والعراق إلى شرق وغرب العالم الإسلامي عقب الغزو المغولي، واستقر عدد كبير منهم في مصر في العصر المملوكي، ومما ساعد أيضًا على انتقال الزخارف الخطية هذه تقليد الفنانين في مصر المملوكية للعناصر الزخرفية الصينية المسجلة على التحف التطبيقية والبورسلين والسيلادون مما كان يرد مباشرة من الصين إلى مصر عبر الطرق التجارية التي كانت تربط بين بلاد الشرق الأقصى ومصر .

- وقد استعار الخط الكوفي المربع شكل المفروكة كرمز واضح منسجم مع الفكر التوحيدي في العصر الإسلامي، وتستخدم زخرفة المفروكة كشكل زخرفي وتقني بكثرة في نظام التربيع لأنها تعد أنسب حل لتكرار الكلمة أربع مرات من الجهات الأربع في علاقة ترابطية حركية" فشكل المفروكة بتكراره يدل على استمرار الحياة والذي أخذ منه الفنان المسلم تكرار الكلمة أربع مرات من الجهات الأربع في علاقة ترابطية مع بعضها البعض .

- وللخط الكوفي الهندسي عدة أنواع فرعية هي: الكوفي المربع وهو الذي يكتب داخل إطار مربع وأيضًا الكوفي المستطيل، والكوفي المثلث والمسدس والمثلث، وأيضًا ظهر نوع آخر يكتب داخل إطار مستدير، وقد شاع استخدام هذا الخط في العصر المملوكي، كما شاع أيضًا في العصر العثماني واستخدم في تحلية العمائر الإسلامية والتحف التطبيقية المتنوعة.